شعفل عمر.. مأساة الثائر الذي لم يعد إلا لمعانقة الثرى

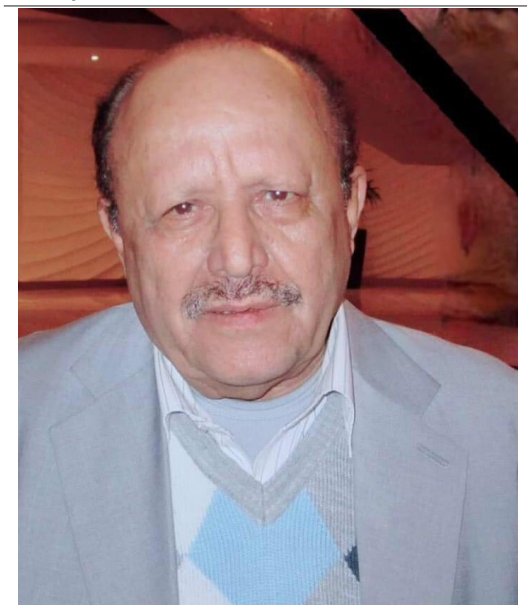

الأمناء / كتب/ د. عيدروس النقيب :

ليست مأساة الفقيد المناضل الوطني والثائر الأكتوبري الكبير الأستاذ الفقيد شعفل عمر علي أنه مات متأثراً بفيروس كورونا البغيض، فالموت حق على الصغير والكبير وعلى الغني والفقير، لكن مأساة شعفل الذي التحم بالثورة الأكتوبرية منذ ريعان شبابه أنه أمضى قرابة ثلاثة عقود من عمره نازحاً من الأرض التي وهبها عمره وضحى من أجلها بشبابه وكل حياته، وكان يمكن ان يقضي نحبه شهيداً في محراب ثورتها، ليكافأ بالاستبعاد والإقصاء والعيش نازحاً في منزل متواضع بالإيجار الشهري في أرض اللواء بقاهرة المعز ملاذ المقهورين ومأوى الثائرين الملاحقين من أنظمة القمع والاستبداد.

تلخص الحالة التراجيدية للفقيد المناضل شعفل مأساة آلاف المناضلين الذين يصنعون الثورات ويبنون الدول ثم يأتي أحد نصابي الثورات وسارقي الانتصارات فيسطو على ما ساهموا في إنجازه ويحولهم إلى متهمين مطاردين بينما يدعي هذا النصاب احتكاره للوطنية وتوزيعها لمن يشاء من الأقرباء والمحبين.

حينما بدأ المناضل شعفل عمر علي ورفاقه في بناء الخلايا التنظيمية السرية للجبهة القومية في عدن والضالع وفعل غيرهم مثلما فعلوا في غيرها من المناطق الجنوبية، كانوا يحلمون بوطن تظلله الحرية ويسوده السلام والنهوض الاقتصادي والاجتماعي والوئام الوطني والكرامة الإنسانية، وقد كاد هذا أن يتحقق، لكن الزمن ليس دوماً مع الحق، فهو لا يعترف بالأمانة النقية، ولا ينتصر للحقيقة لمجرد أنها حقيقة، بل إنه يفتح من البوابات والنوافذ ما قد يتسلل منه المحتالون وسارقو الانتصارات ومزورو التاريخ وأدعياء الوطنية، وذلك تماماً ما تعرضت له التجربة الجنوبية التي كان شعفل أحد صناعها.

لقد كان نصيب الثائر الأكتوبري شعفل من مأساة ١٩٩٤م مضاعفاً بالمقارنة مع زملائه ورفاقه القادة الجنوبيين ومعهم كل المواطنين الجنوبيين الذين تجرعوا مرارات الغزو وآلام الإقصاء والاستبعاد والحرمان، باستثناء القلة القليلة التي جاهرت بإدانتها للضحايا والإشادة بالجلادين وسياساتهم العدائية لكل ما هو جنوبي من كل ما يمت للحقيقة بصلة، فالإقصاء والاستبعاد وإدانة الفضيلة وتعميم الرذيلة من نهب الوظيفة والمرتب والارض والممتلكات إلى السطو على الحقوق القانونية والهيمنة على صناعة القرار والتحكم في مصائر الوطن والمواطنين كل ذلك قد وصل معظم البيوت والأسر الجنوبية، لكن نصيب الفقيد المناضل شعفل عمر علي من هذه التراجيديا كان متميزا في أمرين فيهما من المرارة والغبن أضعاف ما فيهما من الظلم والحرمان.

ففي أتون الحرب الجائرة على الجنوب في العام الأغبر 1994م، وانتصار الباطل على الحق فقد شعفل افراد اسرته الذين غادروا عدن في رحلة بحرية يتوقع الكثيرون ان قوات الغزو تعرضت للقارب الذي كانوا يستغلونه فانتهى بهم الطريق إلى مصير ما يزال مجهولا حتى اللحظة، بينما ظل فقيدنا يبحث عنهم عبر جميع الوسائل وبكل الطرق حتى يوم وفاته.

وفي رحلة النزوح المر وحينما تدبر الكثير من زملائه النازحين أمورهم وعادوا إلى ارض الوطن، وليس في هذا ما يعيب، ومنهم من تعايش مع نظام الغزو واختار أن يقدم له خدماته بعد أن نسي المأساة أو تناساها، بقي شعفل ومعه قلة من الرفاق من ضحايا الحرب متعايشين مع مرارات النزوح وآلام فراق الأهل والأحباب ومسقط الرأس وملاعب الصبا، ومنهم من توفاه الله نازحا كالفقيدين المناضلين مثنى سالم عسكر ومحمد علي القيرحي وآخرين وكان آخرهم فقيدنا شعفل الذي أمضى قرابة العقود الثلاثة في ارض الكنانة قانعا بالبسيط من متاع الحياة مكتفيا برفاهية العزة وترف الكرامة التين لم يعرضهما للمساس أو الانتقاص.

طوال فترة السبعينات وحتى منتصف الثمانينات كان اسم الفقيد شعفل يتردد على مسمعي، كما على مسامع الغير، عبر وسائل الإعلام المختلفة بالنظر لأدواره الوطنية والمواقع التي شغلها في قيادة الدولة الجنوبية والتنظيم ثم الحزب الاشتراكي الحاكم في جمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية، وكنت شخصيا من المعجبين بخطابه ولغته الرصينة التي كنت أقرأها في الصحافة أو أسمعها عبر المذياع والتلفاز، كما كنت معجباً بسلوكه السياسي المتوازن في الفعاليات والأحداث المختلفة، لكنني لم أنل شرف التعرف عليه وجهاً لوجه إلا عند نهاية الثمانينات حينما كُلِّفتُ بمهمة سكرتير الدائرة العامة لمنظمة الحزب الاشتراكي في محافظة أبين وكان الفقيد يشغل سكرتير الدائرة العامة بسكرتارية اللجنة المركزية التي تولاها خلفاً للشهيد عبد الفتاح اسماعيل بعد أن كان نائبا له قبل يناير 1986م.

كنا نلتقي بشكل شبه أسبوعي، فكانت فرصة التعرف عن كثب على شخصية وطنية قيادية وسياسية استثنائية وعلى مهارة وخبرة متميزة في فن الإدارة والتفكير السياسي المتسم بالواقعية من جهة والنقاء والوفاء للقيم والمبادئ الوطنية والإنسانية من ناحية أخرى، فكان في كل هذا ما أكد لي سلامة تصوراتي السابقة عن هذا القائد الأكتوبري الأصيل.

في فترة نزوحه القسري في القاهرة التقيت الفقيد مرات عديدة، وفي كل مرة كنت أجد فيه ذلك الثائر الأكتوبري الذي لم تهزه العواصف ولم تزحزحه النوائب ولم تؤثر الانتكاسات على إيمانه بالقيم والمبادئ التي تشربها منذ يومه الأول عندما وضع يمينه على المصحف مؤدياً قسم الولاء للثورة والوطن كعادة تقيد بها تنظيم الجبهة القومية منذ تأسيسه، عند استقطاب كل عضو جديد إلى صفوفه.

مأساة الفقيد شعفل تعيد إلى الأذهان أمراً كاد الكثيرون أن ينسوه وهو إن هناك صنف من البشر الأَصَلاء لا يمكن أن يتراجع عما يؤمن به من مبادئ وقيم أو يتخلى عما يتمسك به من قناعات، مهما توالت عليه النكبات أو تداعت عليه النوائب، ومن هذه السيرة العطرة فليتعلم المبتدئين الذين ما إن يسهر أحدهم ليلة في موقع ماء أو يتعب يوماً في حراسة منشأة حتى يبدأ بسبغ الألقاب على ذاته ومنح نفسه الصفات والسجايا التي لا يتسابق عليها إلا الأنانيون والتافهون والطارئون من أدعياء النضالية والوطنية الزائفة، الذين ما يزالون ما قبل بوابتها وقد لا يدخلونها أبداً.

لروحك السلام والمغفرة في رحاب الرحمن الرحيم، ولذكراك الخلود في أنصع صفحات التاريخ أيها المناضل الأبي، ولكل أهلك وذويك ورفاقك ومحبيك - ونحن منهم - الصبر والسلوان.

في الساحل الغربي.. قائد من أبين ينقذ جريحا من الضالع ويسير به محمولا على ظهره

كتب / علي منصور مقراط :

في معارك الشرف في الساحل الغربي التي يخوضها الأبطال الأشاوس ضد مليشيات الحوثي، هناك مواقف وملاحم أسطورية يسطرها الشجعان دون أن تجد طريقها في وسائل الإعلام، باعتبارها أهم عوامل رافعة للمعنويات في أوساط المقاتلين.

يوم السبت قمت بزيارة جرحى معارك الساحل الغربي في أحد مشافي عدن وجدتهم من ردفان والضالع وأبين في سن الزهور، الأهم الذي لفت انتباهي وشدني تماما قصة مذهلة رواها لي بعض الجرحى، بل الأصح ملحمة أسطورية بطلها قائد الكتيبة المقدم رامي أليس، الذي ينتمي إلى منطقة العين مديريه لودر محافظة أبين، هذا القائد الشجاع المقدام والمغامر وفي معركة الجمعة بمنطقة الجبلية بالساحل الغربي وأثناء الاشتباكات العنيفة مع الحوثيين أصيب المقاتل الشاب محمد سعيد قاسم في رجله، وتم محاصرته وهو ينزف دما، فما كان من القائد المقدم رامي أليس إلا المغامرة لإنقاذ هذا الجريح، فوضع خطة لإخراجه قبل موته ووجه الجنود بتكثيف إطلاق النار وقام بنفسه مع اثنين من مرافقيه بالتسلل حتى وصل إلى الجريح محمد سعيد قاسم الحميدي وحمله على ظهره بمسافة لا تقل عن كيلومتر، في عملية مغامرة انتحارية، ونجح بإنقاذ حياة محمد بالمقابل أصيب مرافقو القائد المقدم رامي في العملية.

يتذكر هذه اللحظة الجريح محمد سعيد قاسم، من محافظة الضالع، مديرية الأزارق، قرية عبر لعمور، حينما زاره أمس القائد رامي بالمستشفى أدمعت عيناه وكان يقبل رأس ووجه رامي ويقول: لولاك لكنت في ذمة الله.

هذه المواقف الاستثنائية للأسف مغيبة عن وسائل الإعلام والتواصل الاجتماعي، وما يشعرك بالفخر والاعتزاز أن رامي أليس من أبين ومحمد سعيد من الضالع، وهذه الصورة تجسد قيم إعادة اللحمة الوطنية الجنوبية التي تصدعت مؤخرا، لكن الثابت أنها ستعود تدريجياً، ذكرني ذلك بتوحد الجنوبيين من ٢٠٠٧ إلى عام ٢٠١٥م عندما توحدوا على قلب رجل واحد، وهزموا جحافل الحوثيين وانتصروا بتحرير عدن والمحافظات الجنوبية، وقال القائد البطل الشهيد أحمد سيف اليافعي كلمته التاريخية إنه في تلك المعارك كان الجنوبيون في خنادق القتال لحمة واحدة، لم يسأل أحدهم الآخر: من أين أنت؟ وإلى أي حزب سياسي تنتمي؟ لذلك انتصرت الإرادة ووحدة الصف.

وقبل الختام وخلال زيارتنا للجرحى وجدنا بجوار الجريح محمد سعيد قاسم الجريح رائد محمد أحمد الأزرق من جبل عواس ويحيى مثنى صالح عليو من الملاح والجريح وضاح حسين سعفان من حبيل جبر والاثنان نفذا عملية إنقاذ الجريح محمد سعيد بقيادة المقدم رامي أليس.